# الفصل الثالث عشر

# المبحث الأول

## من شاؤول ـ إلى داوود ـ إلى سليمان....شارون

بعد وفاة سليمان عليه السلام الذي ثبت صروح الدولة الإسلامية وقسمت دولته من بعده إلى مملكة إسرائيل ومملكة يهودا ، وإلى أن جاء الآشوريون وقضوا على مملكة إسرائيل في ٧٢٢ ق.م ، وكما وضع نبوخذنصر حداً لمملكة يهودا بعد أن دمرها وحرق الهيكل وسبى سكانها إلى بابل عام ٥٨٦ ق.م ، وعندما دخل الفرس بابل أعاد قورش الأسرى اليهود من بابل إلى فلسطين عام ٥٣٩ ق.م ، وسمح بإعادة بناء المعبد ، ومن ذلك التاريخ صار اسمه الشعب اليهودي.

وفي عام ١٣٥ م استطاع الإمبراطور الروماني هارديان إخماد تمرد قام به اليهود حول مدينة أورشليم «عاصمتهم» وحولها إلى مستعمرة رومانية ، وحرَّم على اليهود الإقامة فيها أو الدخول إليها ، وبذلك قضى على الكيان الصهيوني الذي غاب من ١٣٥ م إلى ١٩٤٨ م «١٨١٣ سنة» سنة إعلان دولة المسخ اليهودية.

ـ كانت التسمية هي اليهودية أو الموسوية ، كما أطلق على أتباعهم اسم الإسرائيليين والعبرانيين ، وأخذت هذه المفاهيم تستقر على مفاهيم محددة بحيث صار اسم اليهودية يعني الديانة ، والعبرانية تعني اللغة ، والإسرائيلية تعني القومية.

ـ وطبقاً لذلك أطلق على الكيان الدخيل المصطنع اسم إسرائيل في ١٥/٥/١٩٤٨م ، وقد تقدمت بتاريخ ٤/٣/١٩٤٩م إلى مجلس الأمن تطلب اعتبارها عضواً في الأمم المتحدة ، فصارت بقرار ٦٩ لعام ١٩٤٩م ، عارضته

مصر وامتنعت بريطانيا عن التصويت ، وفي ١١/٥/١٩٤٩م ناقشت الأمم المتحدة الطلب واتخذت قرارها رقم ٢٧٣/١٩٤٩م باعتبارها دولة محبة للسلام راضية بالالتزامات الواردة بالميثاق.

ـ أوصى المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون المنعقد عام ١٩٥١م بضرورة إقدام الكيان الصهيوني على منح المنظمة العالمية وضعاً قانونياً بصفتها ممثلة للشعب اليهودي في جميع المشاكل المتعلقة بيهود العالم ، ومسؤولة عن تطوير البلاد والاستيعاب السريع للقادمين اليهود.

ـ في ٢٤/١١/١٩٥٢م صدر عن الكنيست اعتراف الدولة بالمنظمة الصهيونية العالمية على أنها الوكالة المخولة السلطات ، والتي سوف تتابع عملها في الدولة اليهودية لتوطين البلاد وتطويرها ولاستيعاب المهاجرين من الشتات ، ولتنسيق النشاطات التابعة للمؤسسات والجمعيات اليهودية العاملة في هذه الحقول.

ـ إن جميع يهود العالم يؤلفون أمة واحدة تمثلهم الدولة اليهودية الممثل الشرعي لذلك القطاع من الأمة المقيم في صهيون ، وإن المنظمة هي الممثل المخول لسلطات الأمة التي تقيم في الخارج «الشتات» ، والاثنان يمثلان الأمة بالمستوى نفسه ، وبإمكانها إبرام المواثيق والمعاهدات والتعاون لخدمة الأهداف.

ثم تقلصت صلاحيات المنظمة لصالح الدولة ، مما حدا بناحوم كولدمان زعيم المنظمة التخلي عن رئاسة المنظمة.

ـ لا يوجد للدولة دستور مكتوب ولا حدود «قوانين تنظم العلاقة بين السلطات».

ـ نظام الحكم جمهوري ، ومنصب رئيس الدولة رمز لا أهمية له ، ولا ينتمي لأي من السلطات ، بل هو فوق المؤسسات دون أن تكون له مهمات ، في حين أن الكنيست «البرلمان» والحكومة لهم السلطة.

ـ يقول اللورد كابيل: إن إقامة الدولة اليهودية كان تحسّباً ليقظة العملاق «الإسلام».

ـ الحدود: جاء في سفر التكوين ١٨/١٥ في ذلك اليوم قطع الرب مع إبراهيم «أبرام» ميثاقاً قائلاً: [لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير «الفرات»].

ـ في المذكرة في مؤتمر الصلح الذي تقدمت به المنظمة، طالبت بما أسمته الحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين وحق اليهود أن يعدوا إنشاء وطن قومي لهم.

ويستند تاريخ هذه الدويلة إلى قصص من العهد القديم من نسج الخيال، كما جاء في كتاب طومسون الذي نشرته دار بيريل BIRILL في هولندا حيث قال: إن التسلسل الزمني القائم على العهد القديم هيكل مصطنع، وإن الاكتشافات الأثرية في سورية ولبنان وفلسطين أدت إلى اكتشاف أن جميع قصص العهد القديم من نسج الخيال، وأنها كتبت في وقت السبي في القرن الخامس قبل الميلاد، ولم يكتشف أي أثر لقيام مملكة إسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد أو وجود مستوطنات سكنية في منطقة القدس والضفة، وأن المكتشفات أدت إلى انهيار تام للنظرية الغربية التي تعتمد على التسلسل التوراتي الزمني.

لقد اهتم اليهود بالآثار لتزوير التاريخ، ولكن ذلك كان وبالاً عليهم، فقد اكتشف العالم الأثري برخت عام ٢٠٠١م بعد ٥ سنوات من الحفر حول المسجد الأقصى للحصول على أثر لهيكل سليمان: اكتشف أيقونة تقول قول المسيح عليه السلام: إن الذي أعدكم به هو من فران «مكة» أمه آمنة. . . . فطويت صفحة الآثار على هذه الفضيحة «بالنسبة لهم».

كل ذلك جعل من همّ الغرب:

١ ـ تقوية الدولة اليهودية بزيادة الهجرة اليهودية إليها، وتقديم المساعدات المادية «العسكرية والمالية» لجعلها في موقع يهدد الأمة الإسلامية وحدها.

٢ ـ فرض النظم الديكتاتورية على بلاد المسلمين لتكون معادية للشعوب ، وتكون الشعوب متجهة بعدائها لحكامها ، ويكون الغرب والدولة اليهودية التي تحمي مصالحه في أمان .

٣ ـ بعد أن حققت دولة العدوان اليهودية وجودها واعتراف العالم بها بدأت باستيعاب الأراضي عن طريق زيادة المهاجرين اليهود ، وإنشاء المستوطنات «كيبونزات زراعية» ، وتسليح جيشها بأحدث الأسلحة المتطورة في الغرب ، وتشكيل جيش قوي يقوم يومياً بالاعتداء على الجوار في عملية تمرين وإرهاب .

تدفقت المساعدات «تعويضات عن قتل النازيين لليهود» بتأييد دول الغرب والظاهر أنها من ألمانيا ، فكانت تشمل التعويضات «الأموال ، والمساعدات التقنية ، والأسلحة المتطورة» .

أنشأت المفاعل الذري عام ١٩٥٤م ، ودشن رسمياً عام ١٩٥٨م ، واعترفت به عام ١٩٦٠م ، وقد ساعد هذا المفاعل في كشف أسرار علمية وخاصة وقد أثبت صحة نظرية أنشتاين في التطبيق العملي «أن سرعة الضوء ثابتة» .

كما أولت اهتماماً بالبحث العلمي والتقدم وخاصة الأغراض العسكرية وتطوير المعدات الحربية والأسلحة الحديثة مثل معهد «رحبوت» وايزمان للعلوم الذي أنشأ من قبل حاييم وايزمان ١٩٢٨م ، وفيه قسم الأبحاث النووية ، والرياضيات التطبيقية ، والأشعة تحت الحمراء ، والكيمياء التصويرية ، والنظائر المشعة ، والكيمياء العضوية ، والتجارب البيولوجية .

ويحوي قسم الأبحاث على ١٣٠ مخبراً وقاعة لدراسة فيزياء الذرة وغيرها .

كما يقوم المعهد باستخراج مادة اليورانيم الخاص بالقنابل من الفوسفات المعدنية المتوفرة ، وصناعة الأسلحة الكيماوية والجرثومية .

* * *

## المبحث الثاني

### أحداث في مصر بعد النكسة

١ ـ في ١٩/ ٣/ ١٩٥٢م قبل انقلاب مصر الذي حصل في ٢٣/ ٧/ ١٩٥٢م وأمام خمسين صحفياً أمريكياً في القدس وقف بن غوريون رئيس وزراء العدو قائلاً:

إذا عقدنا صلحاً مع مصر فإن كل الدول العربية الأخرى ستحذو حذوها ، وقال: إن موسى أمرنا أن لا نعود إلى مصر وما زلنا مقيدين بما أمرنا به.

وبعد الانقلاب «الثورة» قال بن غوريون: إنه يتمنى للثورة النجاح ، وأعلن أن هناك سياسة جديدة للانفتاح على مصر الجديدة.

كما أشار بيجكن أن له أصدقاء في مصر أكثر من أصدقائه في دولته.

٢ ـ لقد بدأ الانقلاب «الثورة» بإعدام المجاهدين الذين كان لهم دور في حرب فلسطين.

ونشر الوعي والفضيلة بين أبناء الأمة «لكن لا كرامة لنبي في وطنه» في تمثيلية عن محاولة اغتيال زعيم الانقلاب الذي أطاح بزملائه والذين كانوا معه أمثال اللواء محمد نجيب؛ ليرضى أسياده الإنكليز طلب منه أن يعدم زعماء المسلمين الذين كانوا علامة في جبين الدهر ، وهكذا حسب القاعدة أن المجرم يجترئ على الحق وأهله وأنه جبان أمام الباطل وأهله.

٣ ـ وكان من ذرّ الرماد في العيون القضاء على الملكية وإعلان معاهدة الجلاء التي كانت ستتم دون معاهدة؛ بسبب الضربات الموجعة للثوار

والمجاهدين في ضرب مصالح الغرب والمعسكرات البريطانية وعلى مدن القتال.

٤ ـ لقد بعث المحفل الماسوني لعبد الناصر عند وضعه دستور البلاد بالبرقية التالية: البناؤون الأحرار المجتمعون اليوم بالإسكندرية بمناسبة تثبيت أستاذ أعظم للمحفل الوطني لمصر والأقطار العربية يعربون عن إخلاصهم للثورة المباركة، وتأييدهم لقادتها الأحرار ورغبتهم الأكيدة في العمل على مبادئها التي يدينون بها، وقد سجلوا هذا الولاء باختيار سيادتكم بالإجماع حامياً أعظم للماسونية في مصر والأقطار العربية، سائلين المولى أن يؤيد مصر الجمهورية بنصر من عنده وأن يوفقكم في كل ما تقدمونه للبلاد من خير، وأن تزدهر الماسونية وترقى في حمايتكم العظمى لها، والله ولي التوفيق ٢٨/١/١٩٥٦م.

ب ـ طه السيد مخلوف، أستاذ الماسون.

وأجابه: تحية طيبة وبعد، فأشكر لك أجزل الشكر تهنئتك القلبية وثقتك الغالية بالدستور الجديد الذي استلهم من روحك، وبكلماتك وبفضل إيمانك يعلو وتصبح مواده المراجع والغاية، وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير بلادنا العزيزة، والله أكبر والعزة لمصر.

جمال عبد الناصر[١].

ـ لقد كان عبد الناصر من أصدقاء دولة اليهود، وقد ذكر محمد حسنين هيكل اللصيق بعبد الناصر في فصل خاص بعبد الناصر في كتاب (لعبة الأمم) للأستاذ محمد الطويل ص ٤٤ يقول[٢]:

---

(١) كتاب حقيقة الماسونية، محمد علي الزعبي.

(٢) قال عبد الناصر: إن مثله الأعلى هو أتاتورك الذي عمل على إزالة الإسلام في بلد الخلافة الإسلامية.
وواقع حاله كان إزالة أيّ أثر للإسلام في أرض الكنانة وباقي دول الإسلام. =

إنه خلال عام ١٩٤٨م وحصار الفالوجة كان عبد الناصر يتحدث عبر خطوط الجبهة مع اليهود المحاصرين للفالوجة ، وكان الحديث يدور حول الكيفية التي أجبرت بها بريطانيا على التخلي عن انتدابها لفلسطين.

لقد كان لقاء مع كل من إيكال يدين ـ إيكال ألون وهدايا ، ثبتت عند عقد صفقة الصلح عندما اجتمع التهامي بصفته نائب رئيس وزراء مصر مع إيكال يدين نائب رئيس الوزراء اليهودي على مائدة مفاوضات السادات عام ١٩٧٧م كيف كان يرسل البرتقال والشوكولا إلى عبد الناصر في الفالوجة ولماذا؟ فأجابه يدين: إن عبد الناصر صديقي الشخصي وتربطني به علاقات أخوة وأعرف طباعه وماذا يحب.

وهل علاقتك به قبل ١٩٤٨م؟ فأجابه مبتسماً: وأعرفه معرفة جيدة.

وإن واقع الطريقة التي عرضت بها مبادرة السادات الخيانية في القدس يرجع الفضل فيها للاتصالات بين عبد الناصر واليهود عام ١٩٤٩م تحت ظل الأعمال الإنسانية في تحديد مكان جثث القتلى اليهود [١].

* * *

= لقد كان تحالفه مع تيتو الذي قتل ثلاثة أرباع مليون مسلم ، وأنديرا غاندي التي أحرقت المسلمين في كشمير ، ومكاريوس الذي ذبح المسلمين في قبرص ، وسكارنو الذي أفسد إسلام أندونيسيا.

إن في ملف اليهود في مصر: إن عبد الناصر كان والده وكيل مكتب بريد في حارة اليهود بالقاهرة ، وقد عاش بعد وفاة أمه مع عائلة يهودية وكأنه منهم ، وكانت ترعاه مدام يعقوب فرج شموئيل ، وقد جاءته وهو رئيس جمهورية تتوسطه لتخفيف حكم قضائي صدر بحق اثنين من اليهود أدينا بالتجسس وحكم عليهما بالإعدام فعفى عنهما. (مجلة المجلة عدد ٢٩ تاريخ ٢٨/٨/ ١٩٨٥ بقلم الكاتب اليهودي موريس مزراجي).

(١) كتاب لعبة الأمم ، الأستاذ محمد الطويل ص ٤٤

## المبحث الثالث

### التمهيد لحرب السويس . وحرب ١٩٥٦م

١ ـ الأعمال الإرهابية لرفع الكفاءة القتالية والروح المعنوية لليهود وخفض الروح المعنوية للعرب.

إغارة نحالين ٢٨/ ٣/ ١٩٥٤م حيث تسلل المظليون فأبادوا قوة الحرس الوطني التي تحرس القرية الأردنية في الليل ، وقاموا بتدمير عدد من المنازل على نحو ما تعلوه في قبية سابقاً وقتلوا «٩» وجرحوا «٢٨» ولم يدمروا المنازل على رؤوس أصحابها كعادتهم ، إذ تم إخراج السكان من منازلهم ثم قتلهم خارج منازلهم المدمرة.

كذلك الإغارة على هوزان في ٧ نيسان ١٩٥٤م والإغارة على عزون في ٢٨ حزيران ، والإغارة على ضاحية جنين في ١ آب ، والإغارة على شيخ مذكور في ١٣ آب ١٩٥٤م على جبهة الأردن.

ثم الإغارة على ضاحية غزة في ٣ نيسان ١٩٥٤م ، والإغارة على بير السقا في ١٥ آب ١٩٥٤م في قطاع غزة.

٢ ـ في ٢٨ شباط إغارة على معسكر للقوات المصرية قرب غزة ، ثم عدد من الإغارات الصغيرة على المواقع العربية المحصنة ومراكز الشرطة ومعسكرات الجيش ، معسكر في قطاع غزة قرب خان يونس أيلول ١٩٥٥م وكذلك على قوات مصرية في العوجا في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٦م ، وعمليات على مراكز أردنية للشرطة في رهوة ١١ أيلول ١٩٥٦م وكرندال في ١٣ أيلول وحسان في ٢٤ أيلول ، في ١٠ تشرين الثاني عملية على قلقيلية على الجبهة

الأردنية قبل العدوان الثلاثي على مصر ، فقد حاولت المظلات الصهيونية التوغل للوصول إلى طريق قلقيلية من الداخل ، وكانت القوات الأردنية متيقظة فدار صراع قوي بالسلاح الأبيض والأيدي ، وتقدمت قوة أردنية لتطويق الموقع ومحاصرة العدو ، مما دفع دايان المشرف على العملية إلى تعزيز القوات الصهيونية بالمدفعية وبطائرتين ومظليين إضافيين لفك الحصار «عن ٥ مظليين» وكانت خسائر العدو حسب ادعائه ٢٧ قتيلاً و٣٠ جريحاً ، أما خسائر القوات الأردنية فكانت ٤٨ قتيلاً و٧١ جريحاً .

مما دفع الإسرائيليين للقول بعدم جدوى هذه الأعمال لعدم احتمال نجاحها علاوة على الخسائر التي تتكبدها ، ووقفت أعمال الإرهاب «الانتقام الليلي» وهكذا فشل الإرهاب وبدأت حرب السويس ثم قصف مطارات مصر في سيناء قبل عملية الهجوم كما حصل في عام ١٩٤٨م .

لقد خططت حكومة اليهود بأنه في أقل من عقد من الزمن يجب أن نحقق هدفاً من أهداف التوسع ، ونقذف الرعب في قلوب أعدائنا ونثبت للغرب بأنها حامية لمصالح الاستعمار ، وهكذا أغرت كل من بريطانيا وفرنسا بمعاونتها وقد استعدت كل الاستعداد وأدخلت في أذهانهم أن عداء مصر وضربها ضروري لمنع مساعدة الثورة في الجزائر ضد «فرنسا» ، ولتأديب من أَمَّمَ القتال ضد «بريطانيا وفرنسا» ، ولتأديب الثوار في عدن وغيرها ، وإحباط المجاهدين في كل بلاد الإسلام .

وهكذا فقد استطاع الموساد اليهودي أن يوقع بريطانيا وفرنسا في عداء مصر ، في حين أن العملية كلها لمصلحة اليهود ، وتذرعت لهم بذرائع بأن مصر اشترت سلاحاً من تشيكوسلوفاكيا ، والحقيقة أن مصر لم تستوعب السلاح التشيكي إلا بعد عام ١٩٦٠م أي بعد أربع سنوات من الحرب .

كانت الذرائع المباشرة للحرب أن الأعمال الفدائية ضد اليهود لم تتوقف وهي تريد أن تقضي عليها .

٣ ـ حرب السويس:

بدأ الهجوم براً وبحراً وجواً في ٢٨/ ١٠/ ١٩٥٦م فكان الغطاء الجوي من فرنسا بضرب مطارات سيناء ومدن القناة.

ـ لقد كان دور القيادة العسكرية المصرية هو إعطاء الأمر بالانسحاب مباشرة ودون تأخير، فأوقعت الجيش المصري في شر هزيمة إذ كان على الجنود أن ينسحبوا لمسافة أكثر من ٤٠٠ كم في صحراء سيناء دون ماء ولا طعام، فمات القسم الأعظم عطشاً وضياعاً في الصحراء أو غرقاً في الماء «للذي فكر بالسباحة».

ـ لقد كانت حرب السويس بالنسبة لليهود نزهة فلم تَحْتَجْ أكثر من يومين لتكون سيناء كلها ومدن القناة تحت الاحتلال، وضاع الجيش في الرمال وأكلته السباع نتيجة القرار «الصائب»؟

ـ لقد هبّ الشعب والمجاهدون من جميع دول الإسلام للدفاع عن مصر.

وفي سورية يقوم المجاهدون بضرب أنابيب النفط لشركة «التابلين» البريطانية فيمنع تدفق النفط.

وفي جميع بلاد المسلمين تضرب مصالح الغرب «بريطانيا وفرنسا»، ويقف جميع العمال على الموانئ يمتنعون من تفريغ حمولة السفن التي تحمل بضائع دول العدوان، وتقطع بعض الدول علاقتها مع دول العدوان، وتقف روسيا ضد العدوان ويهدد خرونشوف «روسيا» بالضربة النووية، وأمريكا تجدها فرصة لتطلب عودة القوات إلى ما كانت عليه ولتستبدل نفوذها بالمنطقة بنفوذ الدول المعتدية، وتقوم دول العالم ضد العدوان، ويعتبر زعيم مصر أن هذا النصر السياسي كان بفضله ويحيل النصر السياسي إلى نصر عسكري ويعتلي عرش العظمة بأنه حقق نصراً جعل منه صنماً يعبد أكثر من عقدين، وصار يعتبر زعيم العرب، ويتوعد ويقيم حكماً ويسقط نظاماً.

وبعد انتهاء العدوان تدفقت الأسلحة على اليهود من دول الغرب وأمريكا فوردت لها دبابات الباتون وطائرات سكاي هوك، وكسبت فتح الملاحة

لسفنها بمضائق تيران حيث صارت بحماية البوليس الدولي بعد أن كانت محرومة.

لقد كانت الدولة اليهودية هي الكاسب الوحيد من الدول الثلاث المهاجمة فأعادت تسليح جيشها على أحدث الأسلحة ، فصارت قواتها:

١ ـ البرية: ٢٥٠٠٠٠ ـ ٣٠٠٠٠٠ مقاتل.

٢ ـ الجوية: ١٥٠٠٠ ـ ٢٠٠٠٠.

٣ ـ البحرية: ٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠.

وتم استيعاب صواريخ الهوك والصواريخ المضادة للدروع وصواريخ جوّ جوّ.

قام الحاخام الأكبر في دولة العدوان يسلم قائد الحملة العسكرية نسخة من التوراة قائلاً للجنود: «إنكم ستدخلون تراباً مقدساً؛ لأنه في هذه الأرض تسلم معلمنا موسى الكتاب».

وفي حفلة التخرج في المدارس العسكرية في معسكرات الناحال ، يمر الموكب الصغير بين رجال مسلحين ثم يمر الكتاب «التوراة والتلمود» المخصص لمعبد الوحدة محمولاً على قطعة من المخمل الأزرق ، مرفوعاً على أسنة الحراب يحمله الضابط الديني في الوحدة وإلى يمينه الحاخام الأكبر للجيش.

ـ وأما دور مصر في دول عدم الانحياز فقد زاد تطرفاً ضد الإسلام؛ لأن «مهمة دول عدم الانحياز منع تحرر المسلمين من تبعية الغرب حتى لا يوصموا بالعمالة للشرق الشيوعي».

لقد كان دور دول عدم الانحياز فقط للدعاية ، ولم يقدم أي دعم للمسلمين في أية بقعة في العالم.

ـ يقول أندريه حبيب في كتابه «الاتجاهات الحديثة للإسلام»: إن دعاوى الوطنية والقومية ليست لها أهداف توحيدية بل فقط للتجزئة وتعميقها.

**نتائج حرب السويس:**

كان نتيجة خلط الأوراق وتحويل الهزيمة المنكرة إلى نصر مؤزّر هو: أن اشتدت حماسة الجماهير التي عادت الغرب، وألحت بطلب الوحدة، فتمت الوحدة بين سورية ومصر بظرف وشروط مبهمة إلا من فقاعات حماسية، وتم إعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة، وتنازل الرئيس السوري شكري القوتلي للقائد «الملهم» جمال عبد الناصر، ثم انضم إلى هذه الوحدة المملكة اليمنية في اتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة باسم اتحاد الجمهوريات العربية.

ولكن ذلك أخاف الغرب إذ خاف من التيار المتنامي والجارف للحماسة، فأوعز لعملائه في الأردن والعراق بقيام الاتحاد الهاشمي بين «فيصل العراق وحسين الأردن» كان ذلك في شباط ١٩٥٨م، وصار هناك اتحاد هاشمي مقابل الاتحاد العربي، وبدل أن يكون هذا الاتحاد مجالاً لصهر الجماهير في بوتقة الإيمان والتضحية كان سبباً في التعالي والتسلط، فالأمة الإسلامية لا تحتاج إلى مبادئ مستوردة ولكن تحتاج لتعميق عقيدتها في دينها وقيمها.

وهكذا صار الاستلزام والمحسوبيات والولاء للأصنام هو المؤهل المطلوب، وليس العلم والنشاط والإيمان والولاء للدين وقيمه، لذا فانفصلت السلطة وأزلامها عن الشعب وصارت البلاد مزرعة فساد.

وبحماسةٍ أخرى غذّيت من الزعيم الملهم: قامت ثورة «انقلاب» في العراق قضت على الحكم الهاشمي وبايعت الزعيم لأجل الوحدة، ثم ما لبث هذا الزخم أن زال وانحرف الانقلاب العراقي ليصبح شيوعيّاً أكثر من اشتراكيّة عبد الناصر، ويعادي نظام عبد الناصر.

ثم ليقوم انقلاب في اليمن «ثورة» تقضي على الإمام وتعلن الجمهورية، فيعلن عبد الناصر تأييده لها ويرسل قواته إلى اليمن التي انقسمت إلى قسم ملكي مؤيد من السعودية وقسم جمهوري مؤيد من قبل عبد الناصر. «حسب

ماجاء في البروتوكولات: ليقتتل المصريون والسعوديون وتقسم اليمن ، فكلهم أوصياء والعدو مرتاح».

**الدولة اليهودية:**

تحويل نهر الأردن: عام ١٩٥٩م شرعت بتحويل مياه النهر وكان عبد الناصر يرى منعها بالقوة ، وآخرون أقروا إجراء تحويل عربي لروافد نهر الأردن داخل البلاد العربية دون التعرض للمشروع اليهودي ، وتشكيل قوة إنذار ضد أي تدخل مسلح بالقوة تقوم به دولة اليهود لتعطيل المشروع العربي.

تعثرت محاولات التحويل ، ولم تنفذ بعض الدول العربية التزاماتها المالية ، وتحفَّظ الأردن ولبنان على دخول قوات دعم مساندة حتى لا يؤدي ذلك إلى استفزاز العدو.

ثم منعت الدولة اليهودية سورية من التحويل بالقوة ، وجرى عدة اعتداءات على سورية التي طلبت تدخل القيادة المشتركة ، ولكن لا تعاون ولا قيادة مشتركة قادرة...

اعتبرت أمريكا في رسالة جونسن لعبد الناصر أن المشروع العربي يعتبر أكبر خطر يهدد السلام.

وانتهى الأمر ليكون النهر وروافده في أيدي اليهود ، ولم ينفذ العرب شيئاً.

**وظهرت مشاريع يهودية مائية وتشمل:**

١ ـ تزويد الضفة وقطاع غزة من مشروع خارجي «النيل ، اليرموك أو الليطاني».

٢ ـ نقل مياه النيل إلى شمال النقب.

٣ ـ مشروع يهودي أردني لاستغلال مياه اليرموك.

٤ ـ مشروع مع لبنان لاستغلال الحاصباني.

٥ ـ هيئة أردنية يهودية لاقتسام المياه.

٦ ـ إلقاء عبء الضفة والقطاع على العرب.

٧ ـ الزعم بأن مصر لها فائض من النيل.

٨ ـ استغلال اليهود لمياه لبنان.

## المبحث الرابع

**حرب ١٩٦٧م:**

الوضع في مصر: الجيش خارج التدريب والانضباط والقتال.

ـ وفي الأردن «المتآمر على القضية الفلسطينية» كانت القيادة البعثية بالاتفاق مع الفلسطينيين المتعاونين مع النظام «الجماعات اليسارية» تريد أن تغير نظام الحكم بالقوة، واغتالت رئيس الوزراء الأردني، ومن ثم تدخل القوات من سورية لضرب الجيش الأردني، ولا ننسى ما زرعه اليهود في أنظمة الحكم المجاورة من جواسيس وصلوا إلى مناصب قيادية أمثال كامل ثابت «كوهين» وغيره.

فقد كانت تدفع بالأمور نحو التصرف وتدفع السلطة لتتنكر للدين.

وهكذا بدأت الحرب، لقد كانت البداية أن القوات السورية تريد أن تمنع اليهود تحويل نهر الأردن، وحاولت أن تضرب مكان التحويل حسب الاتفاق العربي، فقام اليهود بغارة طيران كبيرة على المواقع السورية فاستنجدت القيادة بمصر التي أخذت تزاود عليها بأنها «مصر» غير قادرة على منع سفن اليهود من دخول مضائق تيران، وأن مصر غير قادرة على سحب البوليس الدولي، وبدأت الاستفزازات واللعب بالنار، فليس في سورية قيادة قادرة على إدارة الأمور، وليس هناك جيش قادر على صد العدوان، وليس الشعب معبأ مع دولته بل هناك عداء مطبق.

لقد كان العدو قد أعد عدته لاحتلال الأراضي والتوسع، وبدأ سياسياً يحضر المبررات لهذا، فكان حكام المنطقة الثوريون يتحركون بدافع من عملاء الموساد المزروعين بينهم، فكيف تفسر أن بلداً مقبلاً على حرب مع عدوه

يرسل سيارة مفخخة إلى الأردن ليصاب فيها ١٨ مواطناً بريئاً لا لشيء إلا حتى تسوء العلاقات بين النظام الثوري التقدمي والنظام العميل الرجعي.

واستجابةً للضغوط السورية فقد سحب عبد الناصر البوليس الدولي وصارت المعركة قاب قوسين ، وشكلت حكومة حرب لدى اليهود ولا بد من استعداد بل كأن الأمر لا يعنينا.

**أسباب التحضير المباشرة وغير المباشرة:**

لقد كان السبب المباشر للتوتر المتصاعد للأحداث في المنطقة هو التهديد اليهودي لسورية التي حاولت منع اليهود من تحويل نهر الأردن ، ولكن هناك سلسلة من التهديدات والاعتداءات كانت قد هيأت لهذه الحرب:

١ ـ عدوان التوافيق السورية في ١/ ٢/ ١٩٦٠م.

٢ ـ اعتداء على مناطق التحويل السورية في ١٣/ ٥/ ١٩٦٥م وفي ٨/ ٧/ ١٩٦٥م.

٣ ـ ثلاثة اعتداءات على قرى المنشية وجنين وقلقيليا في الأردن ٢٧/ ٥/ ١٩٦٥م.

٤ ـ اعتداء جوي واسع على سورية ٧/ ٤/ ١٩٦٧م ، وقد أدينت الدولة اليهودية بالاعتداءات ولم تُدَنْ دولة عربية واحدة.

**ـ أما الأسباب المباشرة للعدوان فهي:**

ـ الهدف التوسعي عند كل عقد من الزمن بالاستيلاء على أراض ذات قيمة حيوية «الضفة ، سيناء ، الجولان».

ـ ضرب العمل الفدائي الذي بدأ كشكل طبيعي للمقاومة بديلاً عن الجيوش النظامية.

ـ عدم إفساح المجال للاتفاقيات الدفاعية العربية أن تطبق أو تأخذ دورها «القيادة المشتركة».

ـ الأهداف الاستراتيجية:

ـ منع العرب المتوكلين عن المسلمين بالدفاع عن فلسطين من الحرب، بمنع تسليحهم، عن طريق الدول الكبرى، وعن طريق تدريبهم، وعن طريق المؤامرات التي تحاك ضدهم.

ـ منع العرب من الوحدة عن طريق تعميق الخلاف بين الأنظمة التي تنفذ سياسات غربية أو شرقية مستوردة.

لقد حضّرت الصهيونية للحرب عن طريق:

١ ـ تعبئة الرأي العام الداخلي وإشاعة شبح الخوف من الحصار العربي وحرب الإبادة.

٢ ـ إثارة دول الغرب بأحقادها الصليبية ضد العرب والمسلمين.

٣ ـ استثمار أحقاد طبقات وفئات معينة من شعوب العالم عن بعض التصرفات الخاطئة للحكام والمسلمين كل بما يناسب حقده «فرنسا حرب الجزائر، والعدوان الثلاثي ١٩٥٦م، بريطانيا ثورة عدن، العداء العربي والإسلامي لبريطانيا».

٤ ـ استدرار عطف العالم عن طريق إظهار الظلم العربي أو النازي أو المآسي التي لحقت باليهود في العالم، واعتبار العالم بها وبوسائل إعلامه.

٥ ـ تصوير المسلمين بالمعتدين الذين لا يريدون السلام، وهدفهم إلقاء اليهود بالبحر «وقد ساهمت بعض الدول الثورية بهذا عندما كانت إذاعتها تقول: اقتل دمّر اذبح».

٦ ـ إظهار الموازنة بين حضارة اليهود والوضع المتخلف للعرب المسلمين، واعتبار الصهيونية قادرة على تطوير هذه الأمة الجاهلة التي لا تعرف معنى السلام ولا تعرف إلا الشرور والآثام.

٧ ـ استطاعت أن تؤثر في شركائها في العدوان بأن شجبت دول الغرب «أمريكا» إجراءات مصر بإغلاق مضائق تيران أمام حرية الملاحة، وأعلنت

أمريكا أنها تعارض أن يبدأ أي فريق بالعدوان ، والتشديد على أن أي عمل عسكري ستقاومه «طبعاً المقصود ليس اليهود» ، ووضعت الأمة الإسلامية في موقف متوتر وخوف وإرباك؛ حتى لا تفكر بأيّ عمل عسكريّ ، مفسحةً المجال لليهود بالتحرك.

ـ بدأت الحرب بضربة جوية من جميع طيران العدو إلى جميع المطارات المصرية في الوقت الذي كانت المعلومات الاستخبارية لدى مصر تفيد أن يوم ٥ / ٦ هو يوم بدء الهجوم ، وفي هذا اليوم يصدر أمر للدفاعات الجوية المصرية باعتبار الرمي مفيد؛ لأن طائرة المشير ستمر في سيناء متفقدة القوات وقائد القوات الجوية يعمل في تلك الليلة حفلة تقدمية ثورية يسهر فيها الطيارون ويشربون حتى الثمالة في حضون الغانيات ، لأن القيادة تريد أن ترفههم.

واعتباراً من الساعة السادسة والنصف صباحاً حتى الساعة التاسعة كان الطيران المصري خارج المعركة وجميع المطارات في سيناء ومصر مدمرة ، وخرجت مصر خارج المعركة.

وتكراراً لمأساة سنة ١٩٥٦م فقد أعطي أمر بانسحاب الجيش المصري «كيفياً» ولم يتمكن رئيس أركان الجيش المعادي أن يتقدم ليأخذ موقعاً متقدماً في سيناء؛ لأنه يعرف أن الجيش المصري سوف لا يستطيع أن يصل إليه لأنه سيكون قد مات جوعاً وعطشاً وتعباً أو ضاع في الصحراء ، فأين الخبرة العسكرية والقتال التراجعي والانسحاب المنظم؟!

وفي يومي ٦/٥ و٦/٦ كانت مصر خارج المعركة بعد سقوط سيناء واحتلال مدن القنال وبسرعة لم يشهد العالم مثلها ، وتعلن الإذاعة المصرية أن القوات انتقلت للدفاع عن الخط التالي ، ولم تنس الطائرات اليهودية أن تقوم بضربة تأديبية للقوات السورية والأردنية على الهامش.

لقد اتخذت القيادة العربية الموحدة «لواء عبد المنعم رياض» مقراً لها في الأردن قبل المعركة ليدير أمور المعركة ، واقترح على الإدارة السورية إرسال تشكيل دبابات إلى الأردن ، وقد أرسلت القيادة السورية ذلك اللواء فاستقبله

الملك حسين على الحدود الأردنية وتوجه به إلى منطقة مجهولة «لا يعرف أين هو حتى نهاية الحرب إذ سمح له بالعودة إلى سورية».

في اليومين ٦ ـ ٦/٧ تقدمت القوات اليهودية بتغطية جوية لاحتلال الضفة لكن لا معارض سوى مفرزة صغيرة لا تتقيد بالانضباط كانت على جبل المكبر قرب القدس، اشتبكت لمدة ساعة واحدة ثم عاد الهدوء يخيم على الضفة الغربية، ويعلن الملك وهو يربط يده ويطيل لحيته أنه انتقل إلى الدفاع عن الخط الثاني «وما حدا أحسن من حدا، الدولة الرجعية العميلة كالدولة الثورية التقدمية سواء».

بعد دخول القوات اليهودية إلى نابلس اعتقد أهل نابلس أنها قوات عراقية جاءت لتحميها، فخرجت للشوارع تعلن فرحتها، ولكن خاب ظنها عندما سمعت الميكروفونات تعلن أنها قوات احتلال وتطلب من الشعب الهدوء والعودة إلى بيوتهم وجمع الشباب في منطقة معينة.

لقد جمع حاخام اليهود في نابلس الجالية اليهودية وتقدم أمامها إلى قائد القوة المهاجمة اليهودية مقدماً نفسه معدداً أسماء ١٢٢ جداً من أجداد اليهود ثم ليقول: جاء موسى بن عمران ليخلص الشعب اليهودي قبل ٣٢١٩ سنة «١٢٥٢ ق.م» والآن يرسل الله موشي ديان ليخلص أرض اليهود.

أما في سورية فقد اعتبرت سورية البيانات التي أذاعتها إذاعة صوت العرب صباح ٦/٥ والتي أعلنت أن القوات المصرية أسقطت ٢٥٠ طائرة معادية اعتبرت أن ذلك بداية نصر، ولا بد أن يكون لها نصيب من هذا النصر، ومباشرة أذاعت أن القوات السورية تتقدم باتجاه سهل الحولة «المجففة» وهي التي تشتبك مع المستعمرات «دان وشئر ياشوف» ثم ما لبثت أن ألغت هذا بعد ما تبين لها حقيقة الوضع في مصر، وأعلنت أنها ستطبق خطة نصر وهي خطة ليس لها أصل وأمرت بتنفيذها صباح ٦/٦ وقدمت القوات الاحتياطية لهذه المهمة عبور النهر والنزول بالزوارق المطاطية، ولكن القوات ضربت مساءً عند التحرك لاحتلال قواعد الانطلاق بالطيران المعادي.

وفي الصباح لم يكن باستطاعة أي من القوات التحرك؛ لعدم جاهزية الزوارق المطاطية وعدم استعداد المدفعية وبسبب خروج المدفعية م/ط خارج المعركة ، وصارت القوات في فوضى يومي ٦ ـ ٧ ، ومساء ٦/٧ اتخذت القيادة قرارها بالعودة إلى المواقع الدفاعية ، وصباح ٦/٨ كانت القوات في المواقع الدفاعية تحسن مواقعها.

وصباح ٦/٩ أعلنت القيادة السورية قبولها وقف إطلاق النار .

ابتدأت أرتال الدبابات المعادية تظهر أمام خطوط الجبهة عند الظهيرة ، وقد عهد بقيادة الجبهة لقائد الجبهة من طبريا ـ صفد وبدأت تخرق من القطاع الشمالي منطقة بانياس جباتا ، وبسرعة تحرك احتياط الجبهة ليصد الهجوم قبل أن تسقط أية نقطة بشكل كشف مواقع الجبهة كلها ، ثم توقف القتال عند الغروب ونام الجميع ، وفي الليل أعلن في مصرعن استقالة عبد الناصر وخرج المواطنون إلى الشوارع مطالبين بعدم الاستقالة.

صباح ٦/١٠ عاود العدو هجومه الذي بدأ به مساءً من القطاع الشمالي ، ولم يكن قد بدأ القتال حتى أذيع في الأخبار حوالي الساعة ٩ صباحاً أن قوات الجيش الشعبي والمقاومة الشعبية و. . .تدافع عن القنيطرة ، وأعطي الأمر للقوات بالانسحاب إلى الخط الثاني «سعسع» دون أن يكون هناك مكان محدد.

شاع أن عبد الناصر دبر هذه المذبحة لجيش مصر بعد إطلاعه على تقارير أمنية تفيد عزم القوات المسلحة المصرية على عزله من منصبه نتيجة تورطه في اليمن ، وبعد فقدانه السيطرة على مجموعة المشير عامر التي سيطرت على الجيش سيطرة كاملة ، وكان العقيد شمسي بدران من أبرز شخصيات مجموعة المشير إذ كان له تنظيم أمني داخل جميع الوحدات المقاتلة بعلم المشير ، وقد انكشف المخطط التآمري بعد الهزيمة النكراء فكان لا بد من التخلص من المشير بقتله؛ لأنه إذا حوكم سيروي للتاريخ من المسؤول الحقيقي عن ضياع الجيش المصري في صحراء سيناء ، وجدير بالذكر أنه كان من المخطط مقال افتتاحي نشره هيكل رئيس تحرير الأهرام ومستشار عبد الناصر في الصفحة

الأولى من الأهرام أن مصر لن تقوم بالضربة الأولى ، فكان ذلك دعوة للجيش للاسترخاء.

ـ لقد قدمت الولايات المتحدة كل المساعدة لليهود ومنها سفينة «ليترني التجسسية» التي خدمتها في الدخول على جميع الاتصالات في الدول الثلاث ، وما أن أنهت مهامها على أكمل وجه حتى دمرتها الدولة اليهودية ليموت السر ومن يحمله فغرقت غير مأسوف عليها.

ـ لقد ارتكبت القوات المعادية اليهودية كثيراً من الأخطاء القاتلة بل المميتة ، ولكن المستوى العالي من الاستهتار والضعف المميت لدى القيادات العربية «الثورية» المحيطة قد غطت هذه الأخطاء وكان لقاء ميّت مع ميّت ، ويكفي أن نقول: إن العطالة المطلقة منعت من أن تقوم بعمل ولو بسيط لطيران العدو الذي كان معبأ ١٠٠٪ ، فلو أن طائرة واحدة أعاقت عودته أو تدخلت إلى مطاراته لعملت شيئاً على الأقل ، فنحن مع العدو سلبيون ١٠٠٪ ، ولو كان الأمر يتعلق بمواطن شريف أو مخلص لدينه وعقيدته لكان له ألف خطة وخطة.

ما أجرأ أهل الباطل على أهل الحق وما أجبنهم أمام الباطل!

ـ لقد اعتمد الهجوم اليهودي على سيناء والجولان والضفة الغربية على قوة الصدمة لوحدات الدبابات والقوة النارية للدبابات والطائرات والمدفعية ، كما أكدت التقارير الاستخباراتية الأمريكية انتصار اليهود على جيوش الدول المجاورة ، حتى لو اشتركت جميعها في الحرب وحتى لو بدأت هي الحرب.

وعند بدء الحرب كانت مهمة أمريكا امتصاص الصدمة بأن اليهود معتدون ، وذلك بإظهار البطولات الخارقة التي قامت بها ، كما استغلت الحرب والنصر لإيقاع المسلمين في الإحباط ، ونشر الرعب ، واليأس من ضعفهم ومصيرهم ، وخوفهم من المستقبل أمام عباقرة جيش داوود وجنوده التي لا تقهر ، وربط الانتصار بتاريخ دولة اليهود «داوود وجوليات».

وكما استغلت دعاية اليهود في الأمن بأن العدو يعرف كل شيء عن العرب والمسلمين «في استطلاعاته ومخابراته» ويعرف دقائق الأمور عن الدول

والحكومات والأفراد ، وأن أي تحرك معادٍ سيلاقي جزاءه فوراً مهما كان متكتماً .

ـ لقد أذاع دايان وزير الحرب اليهودي في يوم ٥/ ٦ أمره اليومي للجيش كما يلي :

إن هدفنا هو محاولة إحباط الجيوش العربية التي تحاول الاستيلاء على بلادنا ، وتحطيم الكماشة التي تطبق علينا ورد المعتدي .

لقد عبأ المصريون جيوشهم والسوريون والأردنيون وكذلك العراقيون ، والتي أصبحت تحت قيادتهم ، وجاءت وحدات كويتية وجزائرية لمساعدتهم .

إن الجيوش العربية أكبر منّا عدداً ولكننا سنهزمهم .

وهكذا حققت الصهيونية اليهودية نصراً سحرياً على دول العرب .

ـ ثم اجتمع زعماء المنطقة وزعماء عدم الانحياز وزعماء الثورة العربية على الأمة فأعلنوا اللاءات الثلاث «لا للصلح ، لا للهزيمة ، لا للتفريط» ، وأن ما ذهب بالقوة فلن يعود إلا بالقوة ، وأقاموا جبهة الصمود والتصدي . أما اليهود فقد استطاعت الصهيونية أن تنتزع إعجاب الغرب الذي أغدق عليها المال والسلاح لتؤكد له أنها حامية مصالحه كما خطط لها ، وخطت خطوة نحو دولة اليهود الكبرى «من النيل إلى الفرات» .

ـ بدأ التخطيط لحرب ١٩٦٧م بالقيام بأعمال استفزازية على الجبهة الأردنية ، ففي ١١/ ١١/ ١٩٦٦م كان الاعتداء على قرية السموح بتدمير ٣٠ منزلاً في قرية تبعد ٨ كم عن الحدود ، واستمرت العملية ٤ ساعات حين عبرت قوة مظليين في وضح النهار الحدود الأردنية مستخدمة مكبرات الصوت في طلب من السكان إخلاء منازلهم ، ومعها ناقلات جند مدرعة ومجنزرة تدعمها دبابات خفيفة ، وعندما وصلوا للقرية عملوا بهدوء وحرية في إخلاء المنازل ، وفيما كان السكان يتجمعون كان الجنود ينفذون أهدافهم بدقة ، وفي هذه الفترة اندفعت وحدة مشاة أردنية بالناقلات المدرعة إلى السموح فاصطدمت بدبابتين يهوديتين تحرسان العملية ، فلقي ٥٠ مدنياً أردنياً مصرعهم ، وتم

تدمير منازل القرية ، ودُمِّرَ لليهود ١٠ دبابات ، و١٢ سيارة ، وناقلة جند ، وطائرتان أسقطتا في الأردن وأصيبت ثالثة ، بينما سقطت طائرة أردنية واستشهد ٦ جنود أردنيين وأصيب ١٨ بجراح ، وكانت هذه العملية نموذجاً لما سيتم بعد ثمانية أشهر في حرب حزيران .

ـ ولجهل القائد الملهم وزعماء الأمة الأفذاذ وخيانتهم لشرف أمتهم باستهتارهم وعبثهم وجهلهم بحمل الأمانة ، صارت ربيبة الغرب قوة يعتمد عليها ، فطلبت الدول تمتين علاقتها بها وطلب خبرتها العسكرية ، وظهرت وكأنها تمتلك كل وسائل العلم والمعرفة ، واستطلاعها لا يخفى عليه شيء «علم الغيب» !

كما حققت توسعاً فاق طاقتها الاستيعابية إذ التهمت كلاً من فلسطين والجولان وكامل سيناء ، وسيطرت على آبار النفط في سيناء ، وعلى مقدسات المسلمين «أولى القبلتين القدس» ، ومقدسات النصارى «كنيسة القيامة والمهد وبيت لحم» ، ومقام إبراهيم عليه السلام في الخليل ، كما وضعت يديها على الموارد المائية في سورية والأردن .

**ـ على الصعيد الدولي :**

ـ شعر الاتحاد السوفييتي بخيبة أمل كبيرة باعتماده على ثوريين كرتون ، فقد وضعت أسلحته المتطورة في يد اليهود دون استخدام يذكر ، وكأن أسلحته غير قادرة على الدفاع أمام أسلحة الغرب ، كما فقدت ثقتها واحترامها للحكام الثوريين الذين كانت تعتمد عليهم ، لقد كانت هزيمة للاتحاد السوفييتي وتسليحه وعملائه .

لقد استقال عبد الناصر وخرجت الجماهير تنادي به رئيساً أوحد بعد أن طمس معالم الجريمة بقتله المشير عامر . . .لقد كان شمسي بدران أثناء محاكمته ينادي : أنا شمسي بدران أقول لكم : والله مش عايز أنتحر «كما أشيع أن المشير عامر انتحر» .

غنم العدو سلاحاً شرقياً باعه بعد سنوات عن طريق وساطة «بأموال سعودية

٨٠٠ مليون دولار» السودان «النميري» لتوضع للشاه المعزول في ١٣ حزيران ١٩٨٢م.

كان من أقوال بن غوريون رئيس وزراء العدو في أول قيام الكيان في فلسطين المحتلة:

«إنّ السلام لن يكتب لإسرائيل مادام العالم العربي في قبضة الرجعية» رجال العلم والدين ، وإن الخطوة التي تسبق الصلح هي إقامة ديمقراطيات شعبية في هذه البلدان».

صدر عن مجلس الأمن القرار ٢٤٢ الذي صاغته دولة وعد بلفور؛ ليكون امتداداً لجريمتها وهو يدعو للانسحاب من أراضٍ لم تحدد ، ويطلب اعترافاً متبادلاً بين العرب واليهود ، ولا ذكر لكلمة فلسطين ويتكلم عن حقوق اللاجئين «التعويض مثلاً».

لقد كانت مصالح الغرب واليهود محمية في جميع البلدان من أي اعتداء جماهيري؛ لأن الحكام هم الحارسون لهذه المصالح وغير مسموح بالاقتراب من أية مصلحة غربية؛ لأنه يتعارض مع الكرم والأدب واللباقة.

ـ قامت عدة دول إفريقية بقطع علاقتها مع دولة العدوان ولم تر أي تشجيع من الدول التقدمية الثورية.

إن النوايا التوسعية لها دلائل في السياسات والتصريحات والأفعال ، فهي تبدأ بتهجير يهود العالم ثم تأمين مشاريع مياه لاستغلالها «من تجفيف الحولة ، وتحويل نهر الأردن...» ، ثم اتباع اقتصاد الحرب في السلم ، وزيادة نفوذ المنظمة العسكرية باستغلال عقلية الحصار ، ثم اعتماد نوع من الحدود في تصريحات المسؤولين ، فليس هناك حدود ثابتة «حدود أمنية ، حدود طبيعية ، حدود تاريخية ، وقبل ذلك خطوط هدنة».

ـ وهكذا بدأت الجبهة المصرية بالتسخين وكذلك السورية ، فقد تحركت القيادة العسكرية في كلا البلدين بتسخين الجبهة من العدو كضرب مدرسة عين البقر وإصابة قائد الجبهة اللواء عبد المنعم رياض.

وكذلك الحال في سورية كانت هناك اشتباكات قتالية وهجمات محدودة على جسر الرقاد قرب القنيطرة وغيرها ، ثم اشتباك ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧حزيران/ ١٩٧٠م ، واشتغلت الجيوش بالتدريب والاشتباك والاستعراض وفاحت رائحة البارود.

# المبحث الخامس

## حرب ١٩٧٣م

ـ وفي هذا المنحى كان هناك لقاء سريّ ضمّ زعيمي دولة المواجهة الثورية مصر وسورية مع زعيم دولة رجعية بترولية غير مواجهة ممولة لحرب عرفت فيما بعد أنها حرب تحريكية؛ لإثارة الرأي العام العالمي لبحث القضية ولتخدير الأمة الإسلامية عن الجهاد بأن هناك أيد تعمل.

واتخذ قرار الحرب وكلفت الأركان العسكرية في كلا البلدين بتنظيم الهجوم والتخطيط له والتنسيق.

إن من نعمة الله على الأمة أن الذين لا يتخذون موقعاً من القرار لا يزالون مخلصين، ولذا فقد رسمت الخطط وأعدت بشكل مثالي، وشعر الجميع في كل مستويات التنظيم والتنسيق أن من واجبهم إنجاح المهمة.

لقد كان على القوات المصرية عبور القناة التي أقيم عليها خط بارليف[١]، وقد قام العسكريون المصريون بأنجع الطرق الذكية التي أثبتت قدرتها في إبطال عمله، كما جرى التدريب على تنفيذ اجتيازه.

لقد أظهر الدافع الإيماني والإخلاص وواجب التضحية أنه كان رائد

---

(١) أقام اليهود بعد احتلال سيناء ومدن القتال حاجزاً من الرمال، ودعموا هذا الحاجز بإنشاء خط عليه عدة نقاط استناد وتحكيمات يستحيل معها تقدم أية قوة مصرية؛ لأنه محمي بمياه القناة من بعيد، وعلى الساتر الترابي نقاط مقاومة نارية من النقط متسلط على المهاجم ومعزز بالمدفعية وباقي الأسلحة، وهذا ما تفتقت عنه عبقرية عسكرية القرن العشرين، سمي باسم رئيس أركان الجيش بعد أن أشار عليه خبراء الحرب بالعالم بإنشائه على هذا الشكل.

الجميع ، عدا صاحب القرار الذي اتخذ العملية تحريكية إذ لم يدر بخلده النتائج الباهرة.

* أما على الجبهة السورية الشمالية فكان الأمر أقل شأناً؛ إذ كان هناك على طول الجبهة خندق وعليه ساتر ترابي قبله أسلاك شائكة وبعده أسلاك شائكة وكان الاعتقاد أنه مزروع بالألغام ، فكان اجتياز الخندق بعد إزالة الألغام والوصول إلى الساتر الترابي وفتح ثغرة في الأسلاك وإزالة الألغام مما يعيق تقدم المشاة والدبابات ، وبذا اعتبر أن العمل يحتاج إلى تخطيط وتدريب وتنفيذ ومعدات ومعدلات كلها تحتاج إلى دراسة ، وكذلك التعامل مع نقاط ، الاستناد المحصنة والمسلحة.

وإن مستوى التدريب والتأهيل للتعامل لم يكن على المستوى المطلوب ولكن الله سلّم ، إذ تبين أن الخندق والساتر الترابي ليس محمياً في أكثر نقاطه ، وأن العوامل الجوية قد مهدت الخندق وأزاحت الساتر الترابي وفي كثير من نقاطه لا يوجد ألغام.

لقد كان اختيار التوقيت للهجوم في كلا الجبهتين واحداً ، وكان التعتيم الإعلامي والتضليل الاستخباراتي في وضع مقبول ، فالعدو يعلم بما يجري ، ولكنه لم يكن يتصور أنّ للعرب القدرة على أخذ قرار بهذا. . . !

وفي هذا التعتيم المطلق: يطالعنا ملك المغرب «الحسن» بإرسال التجريدة المغربية من متطوعين مجاهدين متقاعدين إلى سورية قبل ثلاثة أشهر من الحرب ، وكان إرساله لهم نتيجة حلم قد حلم به «وهو أن العرب ستقاتل اليهود وسينتصر العرب» ، ولما استفاق أرسل هذه التجريدة. . ! وأثناء الحرب تكلف هذه النخبة بالتقدم في المناطق الجبلية «قطاع شمالي» لتدخل الجنة بسرعة «تستشهد». . . !

وفي العاشر من رمضان «٦تشرين الأول» ١٩٧٣م بعد الظهر ابتدأ الجيشان بوقت واحد بشعار: الله أكبر.

لقد استخدمت القوات المصرية وسائل ضخ المياه لينهار الرمل والساتر في

القناة ووضعت الجسور ، واجتازت الأسلحة والدبابات الضفة الشرقية من القناة ، وأوقف الأفراد المدربون ضخ النفط إلى نقاط الاشتعال.

لقد اعتبر أصحاب العلم العالي وخبراء التقنية أنهم مما رتبوا على ضفة القنال جعلهم يغطُّون في نوم عميق فقد أوقف ضخ النفط من الأنابيب التي ستقذف حمم اللهب الناري لمنع القوات من التقدم ، ونصبت الجسور التي لم يكن بحساب أحد من العالم «أصحاب العلم العسكري» أن ذلك ممكن ، ووصلت القوات المصرية بأسلحتها الثقيلة وعبرت القناة وتبددت أحلام العدو واستفاق على صوت (الله أكبر) يدمر قواته في الطرف الشرقي من القنال وبدأت حرب سيناء بعد أن تم اجتياز القناة.

إن المفاجأة كانت لصاحب القرار المصري الذي لم يكن يتوقع أن تصل قواته إلى ما وصلت ، ولذا فقد أذهلته المفاجأة فأفاق يفرك عينيه ويعود إلى صوابه ليس إلى هذا الحد ، فلم يستطيع أن يتابع المعركة بل تركها «القوات تتوقف على شرق القناة بما لا يزيد عن عشرة كيلو مترات. . . أين جيش داود الذي لا يقهر. . كيف وصل نداء الله أكبر. . ؟ لقد طار صواب الغرب واليهود وخونة المسلمين».

ـ وعلى الجبهة الشمالية: تقدمت القوات على طول الجبهة «ثلاث فرق» ولكن كل قطاع يختلف عن غيره ، ففي الشمال التلال العالية على جانبي الجبهة ، من يترك التلال ويتحرك إلى السهول يكون تحت رحمة نيران العدو من التلال المواجهة ، وأصبح هذا الموضع مستحيلاً ، خاصة وأنه لا داعي للهجوم منه بعد أن نجحت القوات في محاور أخرى ، ولا بد من الاستفادة من النجاح واستثماره بأقل خسارة.

* وفي محور الوسط تعثر الهجوم شيئاً ما؛ بسبب التلال العالية إلا أن القوات لم تخسر كما خسرت في الشمال ، فتوقفت على مقربة من الحد الأمامي لتعود إلى مواقعها بعد يومين.

وفي القطاع الجنوبي الأقرب إلى تحقيق المهمة تقدمت طلائع القوات من

الساعات الأولى وحققت المهمة المطلوبة ، وتابعت بقية القوات مهمتها وتوقفت أمام المهمة اليومية والنجاح شبه محقق حتى طبريا ، إذ تستطيع القوات أن تقطع على العدو محاور تقدمه وتعزل قواته في الشمال والوسط حتى تستسلم دون هجوم القطاعين الشمالي والأوسط ، فقد توقفت قوات القطاع الجنوبي وطلائعها على مقربة من بحيرة طبريا ، وصار الموقف كما يلي :

* القوات جميعها في القطاعات الثلاثة على قاعدة الانطلاق ولكن الخسارة أكبر في القطاع الشمالي ثم في الوسط ثم في الجنوب .

لقد كانت الأهمية الأولى عند العدو للقوات التي تهدد الجليل والمدن والمستعمرات «القوات السورية» بالدرجة الأولى ، أما القوات المصرية فهي بعيدة عن عمق الدولة وهي على حدود سيناء ، لذا ابتدأ بالتعامل مباشرة مع القوات السورية «الشمالية» .

* إن النجاح على الجبهة المصرية كان يمكن أن يخفف الضغط على الجبهة الشمالية ، كذلك الخسارة الكبيرة على الجبهة الشمالية كان يمكن أن تكون أقل فيما لو تابعت القوات المصرية تقدمها ، إذ توقفت القوات المصرية حسب تعليمات حاكم مصر؛ تتقدم بنظام «المدحلة» لأنه كان يريد أن تتقدم الدول الكبرى بمبادرة لوقف النار ، وعندما تأزم الموقف وتذمر الجيش من السكون أعفي رئيس أركان الجيش المصري «اللواء سعد الدين الشاذلي . .» ، وأعلن السادات أن حربه حرب تحريك وليس تحرير ، وأنه لا يريد أن يحارب أمريكا . . . «منتهى التخاذل» . . . !

* لقد كانت الصدمة الأولى عنيفة على القيادة الإسرائيلية ، إذ أصيب موشى ديان وزير الحرب بالذعر ، وبلغ به اليأس والاكتئاب في اليوم الثالث من الحرب ما جعله يغمغم في غموض عن التدمير الممكن للمعبد الثالث لليهود[1] ، وهو دولة اليهود ذاتها .

---

(١) أمراء الموساد ، دان راقب ، دار الكتاب العربي دمشق ١٩٩١ ، قال دايان وزير حرب العدو لرئيسة وزرائه كولدا مائير : إننا نفقد البيت الثالث (إشارة إلى تدمير الهيكل ، المرة الأولى =

ودار حديث بين جنرالات العدو حول إمكانية استخدام الأسلحة غير التقليدية كملجأ أخير للدفاع الانتحاري.

كانت معنويات كولدا مائير رئيسة وزراء اليهود في الحضيض وبدأت تفكر بالانتحار كما ذكر كاتم أسرارها لوكادار إذ قالت: إن دايان يريدنا أن نناقش شروط الاستسلام، ولهذا أعددت العدة للانتحار من أول تحرّك عربي شبه جاء بعد أن حققت قبل سبع سنوات انتصار سحري بتخاذل العرب.

ولكن السادات أعطى الأمل لمن يريد الانتحار، فقد سمح توقف القوات بأن تسترجع القوات المعادية تأهيلها، وتحركت لتضرب القوات المصرية، وفُتحت ثغرة في الجيش الثالث ما كان السادات يريد أن يغلقها، فتركها حتى صارت جيباً ضمن قوات الجيش الثالث المصري، ثم استطاعت أن تطوق الجيش في منطقة البحرات المرّة في الدفرسوار، فكان لا بد مع انقلاب الميزان أن تطلب مصر فكّ الارتباط، ويتم ذلك في خيمة عمل على الكيلو ١٠١ حيث أجرى السادات لقاء للضباط المصريين واليهود وجهاً لوجه، وتم فكّ الحصار، وفصلت القوات، ووقف إطلاق النار بشكلٍ نهائي.

وبجولات مكوكية بين كسنجر اليهودي الأمريكي وبين السادات استعادت مصر الملاحة في قناة السويس بعد توقف دام ٦ سنوات.

ـ وأما الجبهة السورية المتعثرة: فقد فقدت ارتباطها بالهجوم المصري، وتركت مصر سورية لوحدها تتعثر، إذ تابع العدو تقدمه من القطاع الشمالي حامياً جنبه بالجبال ومتجاوزاً التلال دون مقاومة إلى أن صارت القوات المعادية خلف قوات الشمال والوسط، وطوقت القوتين، وبدأت بالتقدم نحو دمشق، عندها وصلت القوات العراقية وأخذت بالتصادم مع العدوّ، وأوقفته، فانكفأ واضطرّ لأخذ مواقع دفاعية على الخط، وخفّ الضغط على القوات الشمالية والوسطى وتم وقف إطلاق النار ليلة ٢٢ ـ ٢٣/ ١٠ حيث ثبتت مواقع الطرفين،

---

= في عهد الآشور، والثانية في عهد الرومان، والثالثة هي الآن)، وبقي أثر الصدمة على دايان حتى نهاية الحرب.

ولأجل الدعاية أعلن عن حرب استنزاف بالرمي اليومي بشكل متناوب من مناطق متعددة من الجبهة على مناطق العدو ، وهي ليست مسددة ولا تخيف العدو ، ولكن ليكون للمفاوضات المكوكية مع كيسنجر اليهودي دور ، إذ بقيت عدة شهور جرى فيها اتفاقية فصل القوات ، وانسحب اليهود من مناطق وتركت مناطق منزوعة السلاح .

لقد كان للصواريخ المضادة للطائرات دور مهم في هذه الحرب ، إذ حققت عنصر المفاجأة في الأيام الأولى وحمت تقدم القوات ، فقد استطاعت أن تسقط عدداً من الطائرات المعادية ، كما وتسببت في أسر عدد من الطيارين في الأيام الأولى ، إلا أن المفاجأة زالت في أيام الحرب الأخيرة .

ـ إن مما جرى على جبل الشيخ من معارك يوم وقف إطلاق النار حيث كان هناك مرصد للعدو فتم عليه إنزال قوات خاصة في اليوم الأول للهجوم وسيطرت على التل خارجياً ، إلا أن قوات العدو دخلت المرصد وبقيت فيه إلى أن قامت منه يوم وقف إطلاق النار ، واستماتت القوات الخاصة بعدة إنزالات للتمسك به ولكنها لم تفلح وكانت الخسائر كبيرة .

**ـ نتائج الحرب :**

ـ كانت المرة الأولى في التاريخ الحديث التي يخطط فيها العرب لمعركة بحيث تواجه دولة العدوان جيشين في وقت واحد ، وفي جميع الأحوال انفردت بكل جيش على حدة ، فإذا ما انتهت منه استدارت لغيره .

ـ كانت المرة الأولى التي يتخذ فيها العرب قراراً ، بل كانت كل تصرفاتهم ردود أفعال غير مدروسة .

ـ إن حكام العرب لا يستطيعون أن يصمدوا متّحدين متضامنين متكافلين أمام أعداء أمتهم ، إذ سرعان ما رأوا عدوهم تركوا أيدي بعضهم .

ـ لا يستطيع الحكام العرب الصمود ، إذ بمجرد ما ترك أحدهم العدو لحق به الآخر دون طلب ولا رَوِيّة «لو كان فك الاشتباك على الجبهتين معاً لكان

أقوى كما بدؤوا الحرب معاً وكذلك إيقافها معاً ، لو تشاوروا أثناء المعركة أحدهم يشدّ أزرالآخر» .

**ـ على صعيد الدول العربية :**

ـ ثبت أن الأمة قادرة على الدفاع عن حقوقها ولا تحتاج إلا إلى قيادة رائدة مخلصة لتعيد للأمة أمجادها ، والتضحية والإخلاص لا يزالان من مزاياها .

**ـ على صعيد العرب :**

ـ كان للجيش العراقي دور بارز في صدّ العدوان على سورية ـ قدمت الدول العربية وحدات رمزية ، كالسعودية والمغرب والأردن ، وذلك لإظهار التأييد والتضامن ، وامتصاصاً لنقمة شعوبها من عدم المشاركة الحقيقية في الحرب .

ـ لقد كان الذين رفعوا شعار (الله أكبر) عندهم العمل أكبر من القول .

**ـ على صعيد دولة العدوّ :**

ـ فقدت دولة العدو ثقتها بمؤسساتها الاستخباراتية والتي كانت تدّعي علم الغيب وعلم كل شيء ، وفقدت مصداقيتها وأسطورتها أمام شعبها وأمام يهود العالم .

ـ كان باستطاعة اليهود القيام بالضربة الوقائية على القوات المهاجمة وهي على قاعدة الانطلاق ، ومع أن لديهم معلومات صحيحة عن الحرب .

ـ شكلت لجنة (أغرانات) لدراسة سبب التقصير وإعادة دراسة أسباب ما حصل ومحاسبة المسؤولين .

ـ فقد العدو مركزه بين الغرب في أنه الحارس لمصالحه والقادر على كل شيء والوحيد الممكن الاعتماد عليه .

ـ لم ينس أن يسمي المعركة باسم ديني وهو حرب «كبفور» يوم الغفران .

ـ كان زوال دولتهم التي عملوا لأجلها منذ ثلاثة آلاف سنة قاب قوسين ، وسيكون زوالها حتماً ؛ لأنها ليست ذات مقومات .

ـ سقطت المسلّمات التي بنوا عليها دولتهم «الجيش الذي لا يقهر ، دولة

المشيخ ، حصن الغرب الديمقراطي ، وأن العرب سينسون بعد فترة وسيصلون إلى مرحلة يحكمون المنطقة ويكونون جزءاً منها ، أنهم قادرون على جعل المنطقة تدين لهم وستكون قيمهم وأفكارهم هي السائدة . . . إلخ» .

**ـ على الصعيد العالمي :**

ـ أسرعت الولايات المتحدة بعمل جسر جويّ يمدّ العدوّ بالسلاح بعد الساعات الأولى من المعركة .

ـ أسرعت الاستطلاعات الأمريكية بتقديم الصور الجوية التي لايستطيع أحد غيرها أن يعرف منها مواقع قوات الأطراف المتحاربة على الأرض ليتم منها حرق القوات المصرية «الدفرسوار» .

ـ أصدر مجلس الأمن قراره ٣٣٨ ، والذي يؤكد على القرار ٢٤٢ القاضي بإعادة أراض محتلة . . . «قرار الغموض» .

ـ كان تحريك القضية الآن من عملائهم ، إذ حركوا السادات بعد أربع سنوات ليدخل القدس متذللاً ، وليست هي الأمم المتحدة التي حركت القضية .

ـ كان على الصهاينة امتصاص الصدمة على جميع الأصعدة؛ لإعادة ثقة الشعب اليهودي بدولته ، وأنها قائمة ، قوية لا تزول ، وقد شعرت القيادة «مائير ودايان» قبل غيرهم بقرب زوالها . . .وإعادة ثقة الشعب بجيشه ، وأن قدرته لا تزال قوية .

ـ إشعار الولايات المتحدة ودول الغرب «أصحاب المشروع الصهيوني» بأنها دولة تبذل جهودها باستمرار؛ كي تكون قائمة بالاضطلاع بمهامها المكلفة بها من الصليبية المستعمرة ، وأنها قادرة على استيعاب القوة البشرية اليهودية ، وأن هذا الجهد يستحق استمرار الثقة وزيادة المكافأة ، وأنها قادرة على تجاوز العقبات بالرغم من النكسة .

ـ إعادة الزخم في الحرب النفسية ضد الجوار ، وإشعارهم أنها ازدادت

قدرة على مجابهة دولهم ، وأنها تفاوض العرب من موقف المتفوق الفارض لشروطه.

ـ لقد استفادت من تنظيم قواتها بعد تدمير القسم الأكبر من المدرعات ، وقد صارت مدرعاتها ضعف ما كانت عليه قبل الحرب.

ـ كما ظهرت الحاجة لتدفق القدرات البشرية واستيعاب تدفق الأسلحة.

ـ في تقدير غير دقيق عن خسائر اليهود في هذه الحرب: أنه قتل ٢٧٠٠ ألفان وسبعمائة جندي ، وأصيب عشرة آلاف «هذا من بياناتها».

* * *